

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

وأولى لكم أن تجحدوا فخره وتنسوا ذكره فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم في قوله من قصيدة يمدح بها خليفة .

(إذا كان أملاك الزمان أراقما ... فإنك فيهم دائم الدهر ثعبان) .

فما أفبح ما وقع ((ثعبان)) وما أضعف ما جاء ((دائم الدهر)) ولقد أنشدت أحد طرفاء الأندلس هذا البيت فقال لا ينكر هذا على مثل الجراوي فسبحان من جعل نسبه وروحه وشعره متناسبا في الثقالة وإن أردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم في مدة المنصور بن أبي عامر ومدة ملوك الطوائف أخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفاك من أبطال عصرنا ما سمعت عن الأمير أبي عبد الله ابن مردنيش وأنه كان يدفع في المواكب ويشقها يمينا ويسارا منشدا .

(أكر على الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها) حتى أنه دفع يوما في موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشيخ من خواصه عالم بأمور الحرب مشهور بها كيف رأيت فقال له لو رآك السلطان زاد فيما لك في بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الإقدام ويتعرض بهلاك نفسه إلى هلاك جيشه فقال له دعني فإنني لا أموت مرتين وإذا مت أنا فلا عاش من بعدي .

والقائد أبو عبد الله ابن قادس الذي اشتهر من شجاعته ومواقفه في النصارى وحسن بلائه ما صير النصارى من رعبه والإقرار بفضلته في هذا الشأن أن يقول